﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا..﴾

الرُّوحُ مِن عالَمِ الأمر، وَالإنسانُ مِن عالَمِ الخَلْق

العلّامة السّيّد محمّد حسين الطّباطبائيّ رحمه الله

ثلاثة أسئلة وجّهها العلّامَةُ السّيّدُ محمّد حسين الطّهرانيّ رحمه الله إلى أستاذه العلّامَة السّيّد محمّد حسين الطّباطبائيّ قدس سره، فأجابَ عليها بالتّفصيل. ولأهميّة هذه الإجابات توردها «شعائر» نقلاً عن كتاب (الشّمس السّاطعة) للسّيّد الطّهرانيّ، وقد جاءت الأسئلة تباعاً حول:

*** المُراد من الرّوح في الآية: ﴿نَزَّلَ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ..﴾، والمُراد من «روح القُدُس» و«الرُّوح الأمين».**

*** الرّابطة بين روح الإنسان وتلك الرّوح.**

*** عمّا إذا كان «الرّوح» بلسان الشّرع هو أوّل مَا خَلَقَ اللهُ، أو ما يُعبَّر عنه بالعقل الأوّل.**

حول المُراد من «الرّوح»، و«روح القُدُس»، و«الرّوح الأمين»، أجاب العلّامة الطّباطبائيّ:

المُراد من رُوح القُدُسِ والرّوح الأمين [هو] جَبْرائيلُ: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ..﴾ النحل:١٠٢. ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ..﴾ الشعراء:١٩٣-١٩٤.

وأمّا الرّوح، فهي في الظّاهر خَلقٌ أوسعُ بكثير من جَبْرائيلَ وغير جَبْرائيلَ، وخلْقٌ من مخلوقات الله أفضلُ من جَبْرائيلَ وميكائيل، ففي سورة (النّبأ) يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ النبأ:٣٨.

لأنّ جَبْرائيلَ من المُسَلَّم بِهِ أنّه من الملائكة، وفي هذه الآية جعل الرّوحَ مُقابل الملائكة. فالرّوحُ غيرُ الملائكةِ وجَبْرائيلَ. فالرّوحُ مرحلةٌ من مراحلِ الموجوداتِ العالية، وخَلْقٌ أشرفُ من الملائكةِ وأفضل منها، والملائكة تستمدّ منها في الأمور الّتي تُؤَدّيها.

توجد آيتان في القرآن الكريم تدلّان على أنّ الله تعالى يُرسل الرّوحَ إلى أنبيائِهِ ورُسلِهِ الّذين يَدْعونَ النّاس إلى الحقّ، وأنّ الملائكةَ يتنزّلون بالرّوح. ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ النحل:٢. ﴿..يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ غافر:١٥.

فجَبْرائيلُ يستمدّ من الرّوح عند نزوله في الأمور الّتي يؤدّيها والتّدبيرات الّتي يقوم بها، وكأنّها ملازمٌ (ملازمة) له، وبتعبيرٍ آخَر فهي مساعدٌ له. وهذه الآية الثّانية مُدهشة حقّاً حيث جاء التّعبير بـ«الإلقاء».

فالمقصود أنّ الرّوحَ أمرٌ واقعيّ، وموجودٌ أشرفُ وأفضل، ينزل مع الملائكةِ حين نُزولِها لتدبير الأمور، ويُساعد في مهامّها، وهذه هي هُوِيَّةُ الرّوحِ.

فلا علاقةَ لجَبْرائيلَ بالرّوح، وهو ليس من أفراد الرّوح وأنواعه، وليس للرّوح فردٌ، بل هي نوعٌ بحدّ ذاته منحصرٌ بالفرد. وأمّا جَبْرائيلُ فهو من الملائكة، والرّوحُ حقيقةٌ واقعيّةٌ تختلف عن الملائكة.

في كِلتا الحالتَين هناك فئتان: «الرّوح» وهي حقيقة واقعيّة، والملائكة بنحو أنّها تستمدّ من الرّوح الّتي تؤيّدها وتذهب معها لإنجاز عملها: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ..﴾ النحل:٢.

ويمكن الاستفادةُ من استعمالِ القرآن الكريم لكلمة «الرّوح» بالمفرد و«الملائكة» بصيغة الجمع، بأنّ للرّوح مقام الجامعيّة، وأنّ قربها من الله سبحانه أشدّ من جَبْرائيلَ، وتوجد رواية بهذا الخصوص.

الرُّوح وروح الإنسان: اشتراكٌ لفظيٌّ

وحول الرّابطة بين «الرّوح»، و«روح الإنسان»، يقول العلّامة:

الرّوح كما ذكرنا خَلْقٌ أعظمُ من الملائكة، ولا علاقة له بالإنسان وروحه، واستعمال الرّوح في مَوْرِدِ تلك الحقيقة

والأنفُس البشريّة، هو من باب الاشتراك اللّفظيّ لا الاشتراك المعنويّ.

ولعلّه من هذه الزّاوية تكون النّفسُ النّاطقةُ الإنسانيّةُ قابلةً للوصول إلى ذلك المقامِ الّذي تُصبحُ فيه مُجاورِةً لتلك الرّوح، من خلال السّيرِ التّكامليّ في المُجاهَداتِ والعِبادات.

وفي الآيةِ الشّريفة ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ...﴾ الإسراء:٨٥، وقع السّؤالُ عن مُطْلَقِ الرّوح، ولم يكن مُتَوجّهاً إلى النّفس الإنسانيّة، وجاء الجوابُ ﴿..قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّى ..﴾ الإسراء:٨٥، إنّها من عالَمِ الأمْرِ، وليست كالإنسان الّذي هو من عالَمِ الخَلْق.

وفي أسئلتِهم لا يوجدُ أيُّ كلامٍ عن روح الإنسان، والظّاهر أنّهم كانوا يسألون عن تلك الرّوح الّتي ورد ذِكرُها في القرآن. والمُدهش ما جاء في ذيل الآية، وهو قوله تعالى: ﴿..وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الإسراء:٨٥. أي إنّ فَهمَ حقيقةِ خِلقة الرّوح خارجٌ عن العلوم البشريّة، ولا يُمكن الوصولُ إليه بسهولة.

في أوّل ما خلق الله سبحانه وتعالى

وحول اعتبار الرُّوح العقل الأوّل، أجاب العلّامة: في الرّوايات الشّريفة أُطلق «**أوّلُ ما خَلَقَ اللهُ**» على عدّة أمورٍ، منها: «**أوّلُ ما خَلَقَ اللهُ نُورُ نَبِيِّكَ يا جابِرُ**»، أو «**أوّلُ ما خَلَقَ العَقْل**» أو «**الماء**» أو «**اللّوح**» أو «**القلم**».

وفي سورة (الشّورى) يقول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ الشورى:٥٢.

والحاصل: أنّ دراية الإيمانِ والكتاب قد تمّت بواسطةِ وحيِ اللهِ الرّوحَ على الرّسول ﷺ، وذلك من خلال إيصالِ روحِهِ المباركة بذلك الخَلقِ العظيم الّذي هو الرّوح، وبناءً عليه، فإنّ روحَ النّبيّ صلّى الله عليه وآله قد وُجِدَتْ من هناك، وهي أوّلُ مَا خَلَقَ اللهُ.

وفي لسانِ الحكمةِ يُمكن اعتبارُ أنّ المرادَ من العقل الأوّل هو الرّوح، ولكنْ بشرط أن لا تُنْتَزَعَ خَواصُّه، أي يبقى على نفس ذلك التّجرّد والإطلاق، وإلّا لما كان عقلاً أوّلاً، وكلّ ما يتنزّل ويحصل على مزيد من التّعيّن يكون من العقولِ الأخرى، وكلّ ما يتنزّلُ يفقد المزيد من السّعة والإطلاق.

وفي مقامِ قَوْسِ الصّعودِ، فإنّ روحَ رسولِ الله ﷺ قد وصلتْ إلى المكانِ الّذي وُجدتْ فيه وهَبطتْ منه، وهو الرّوح. لأنّ أوّل ما خلقَ اللهُ هو نورُ رسولِ الله صلّى الله عليه وآله، وهو الرّوح. وفيما بعد - في قَوْسِ النّزول - طوى العوالمَ إلى ما [أن] وصلَ إلى عالم الطّبع والمادّة، ثمّ عادَ بواسطةِ قَوْسِ الصُّعودِ إلى نَفْسِ المقام، يستمدّ الأزل والأبد.

فهذه الرّوحُ تتنزّلُ حتّى تصلَ إلى عالمِ المادَّةِ (المادّة الجزئيّة)، ثمّ تَشرعُ بالحركةِ الجوهريّةِ تدريجيّاً، وتَتقدّمُ إلى كمالها حتّى تصلَ شيئاً فشيئاً إلى ذلك المعنى في قوله صَلّى الله عَلَيْهِ وآلِهِ: «**أوّلُ ما خَلَقَ اللهُ نُورُ نَبِيِّكَ يا جابِرُ**»، ولم يَحدثْ هناك شيءٌ جديد، بل نفس ذلك المَوْجودِ موجودٌ، وأنّه كلّما وقعَ له كان نزولاً وصعوداً.

وفي هذه الحالة فإنّ إدارةَ هذا العالَمِ من جهة، وتدبيرَ الملائكةِ من جهةٍ أخرى، وتَدَخُّلَ الرّوح من جهةٍ ثالثة مُدهشٌ جدّاً، لأنّ هذه الأعمالَ لا تَضادّ فيها؛ ونفسُ عملِها في إيجادِ الحَوادثِ في عالَمِ الطّبعِ مُحَيِّرٌ جدّاً ومُذْهِلٌ. "..."

الرّوحُ أمرٌ واقعيّ، وموجودٌ أشرفُ وأفضلُ من الملائكة، ينزلُ معها حينَ نزولِها لتدبير أمور العالَم، ويساعدُها في مهامّها.

موجز في التّفسير
سورةُ «الحُجُرات»

إعداد : سليمان بيضون

*** السُّورة التّاسعة والأربعون في ترتيب سُوَر المُصحف الشّريف، نزلتْ بعد «المجادلة».**

*** آياتُها ثمانية عشرة، وهي مدنيّة، يُعطى قارئها من الأجر عشرَ حسنات بعدد مَن أطاع الله تعالى وعصاه، وكان من زوّار النّبيّ صلّى الله عليه وآله.**

*** سُمِّيتْ بسورة «الحُجُرات» لقوله تعالى في الآية الرّابعة منها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ ..﴾.**

الحُجُرات جمع حُجْرة، وهي من الحَجْر أي المنع، لأنّها تمنع ما بداخلها، والتّحجير أن يُجعل حول المكان حجارة، وقيل للعقل حِجْر، لكون الإنسان في منعٍ منه ممّا تدعو إليه نفسه.

محتوى السّورة

«**تفسير الميزان**»: تتضمّن السّورة مسائل من شرائع الدّين بها تتمّ الحياة السّعيدة للفرد، ويستقرّ النّظام الصّالح الطّيّب في المجتمع، منها ما هو أدَبٌ جميل للعبد مع الله سبحانه ومع رسوله، كما في الآيات الخمسة في مُفتتح السّورة، ومنها ما يتعلّق بالإنسان مع أمثاله من حيث وقوعُهم في المجتمع الحيويّ، ومنها ما يتعلّق بتفاضل الأفراد، وهو من أهمّ ما ينتظم به الاجتماع المدنيّ ويهدي الإنسان إلى الحياة السّعيدة والعيش الطّيّب الهنيء، ويتميّز به دين الحقّ عن غيره من السُّنن الاجتماعيّة القانونيّة. وتُختَتم السّورة بالإشارة إلى حقيقة الإيمان والإسلام، ومنّه تعالى بما يُفيضه من نور الإيمان.

***

«**تفسير الأمثل**»: حيث إنّ أغلب المسائل الأخلاقيّة تدور في هذه السّورة، فيمكن أن نسمّيها «سورة الأخلاق والآداب»، ويمكن على الإجمال تقسيم مضامينها على النّحو التّالي:

القسم الأوّل: آيات بداية السّورة، وهي تبيّن طريقة التّعامل مع النّبيّ ﷺ وآدابها، وما ينبغي على المسلمين مراعاتُه من أصولٍ في محضره صلّى الله عليه وآله.

القسم الثّاني: يشتمل على سلسلة من أصول «الأخلاق الاجتماعيّة» المهمّة، الّتي إن عُمل بها وعلى هُداها، حُفظت المحبّة، والصّفاء، والأمن، والاتّحاد في المجتمع الإسلاميّ، وعلى العكس من ذلك، لو أُهملت هذه الأصول تكون سبباً للشّقاء، والنّفاق، والتّفرّق، وعدم الأمن.

القسم الثّالث: يتضمّن الأوامر الإرشاديّة المتعلّقة بكيفيّة مواجهة الاختلافات والتّنازع، أو القتال الّذي قد يقع بين المسلمين أحياناً.

القسم الرّابع: يتحدّث عن معيار قيمة الإنسان عند الله تعالى، وأهمّيّة التّقوى.

القسم الخامس: يعالج قضيّة أنّ الإيمان ليس بالقول فحسب، بل لا بدّ من ظهور آثاره في أعمال الإنسان والجهاد بالمال والنّفس، إضافة إلى الاعتقاد بالقلب.

القسم السّادس: يتحدّث عن أنّ الإيمان والإسلام هما هديّة إلهيّة للمؤمنين، وبدلاً من أن يمُنّوا بالإسلام أو الإيمان على النّبيّ ﷺ ينبغي أن يشكروا الله تعالى على هذه الهديّة إذ شملهم بها.

القسم السّابع: وهو الأخير، يتحدّث عن علم الله تعالى واطّلاعه على جميع أسرار الوجود الخفيّة، وعلى أعمال الإنسان، وهذا القسم هو بمنزلة الضّامن لتنفيذ جميع الأقسام الواردة في هذه السّورة.

ثواب تلاوتها

«**تفسير مجمع البيان**»: عن النّبيّ ﷺ: «**مَن قَرَأَ سورَةَ (الحُجُرات) أُعْطِيَ مِنَ الأَجْرِ عَشْرَ حَسَناتٍ بِعَدَدِ مَنْ أَطاعَ اللهَ وَعَصاهُ**».

عن الإمام الصّادق عليه السلام: «**مَنْ قَرَأَ سورَةَ (الحُجُرات) في كُلِّ لَيْلَةٍ أَوْ في كُلِّ يَوْمٍ كانَ مِنْ زُوّارِ مُحَمَّدٍ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ**».

تفسير آياتٍ منها

بعد ذكرِ الآية الكريمة، نوردُ ما رُويَ من الحديث الشّريف في تفسيرها، نقلاً عن (تفسير نور الثّقلين) للمحدّث الشّيخ عبد عليّ الحويزيّ رضوان الله تعالى عليه.

قوله تعالى: ﴿..وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ..﴾ الحجرات:٧.

* الإمام الصّادق عليه السلام: «يَعْني أَميرَ الْمُؤْمِنينَ».

قال العلّامة المجلسيّ في (مرآة العقول) ما خلاصتُه: «وتفسيرُه عليه السّلام الإيمانَ بأمير المؤمنين لأنّه لكماله في الإيمان وكونه داعياً إليه، وكون ولايته الرّكن الأعظم من الإيمان، فكأنّه عينُه...».

** وعنه عليه السّلام: «حَرامٌ عَلى قُلوبِكُمْ أَنْ تَعْرِفَ حَلاوَةَ الإيمانِ حَتّى تَزْهَدَ في الدُّنْيا».

قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا..﴾ الحجرات:٩.

الإمام الصّادق عليه السلام: «القَتْلُ قَتْلانِ: قَتْلُ كَفّارَةٍ وَقَتْلُ دَرَجَةٍ، وَالقِتالُ قِتالانِ: قِتالُ الفِئَةِ الكافِرَةِ حَتّى يُسْلِموا، وَقِتالُ الفِئَةِ الباغِيَةِ حَتّى يَفيئوا».

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ..﴾ الحجرات:١٠.

الإمام الباقر عليه السلام: «إنَّ اللهَ عزَّ وَجَلَّ خَلَقَ الْمُؤْمِنينَ من طينَةِ الجنانِ، وَأَجْرى فيهِمْ مِنْ ريحِ رَوْحِهِ [أي رحمته]، وَلِذَلِكَ: الْمُؤْمِنُ أَخو الْمُؤْمِنِ لِأَبيهِ وَأُمِّهِ، فَإذا أَصابَ رُوحاً مِنْ تِلْكَ الأَرْواحِ في وَلَدٍ مِنَ الوِلْدانِ حُزْنٌ، حَزِنَتْ هَذِهِ لِأَنَّها مِنْها».

قوله تعالى: ﴿..فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡ..﴾ الحجرات:١٠.

الإمام الصّادق عليه السلام: «صَدَقَةٌ يُحِبُّها اللهُ: إِصْلاحٌ بَيْنَ النّاسِ إِذا تَفاسَدوا، وَتَقارُبٌ بَيْنَهُمْ إِذا تَباعَدوا».

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ..﴾ الحجرات:١٢.

أمير المؤمنين عليه السلام: «ضَعْ أَمْرَ أَخيكَ عَلى أَحْسَنِهِ حَتّى يَأْتِيَكَ ما يَغْلِبُكَ مِنْهُ، وَلا تَظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ أَخيكَ سُوءاً وَأَنْتَ تَجِدُ لَها في الخَيْرِ مَحْمَلاً».

قوله تعالى: ﴿..وَلَا تَجَسَّسُواْ..﴾ الحجرات:١٢.

النّبيّ صلى الله عليه وآله: «لا تَطْلُبوا عَثَراتِ الْمُؤْمِنينَ، فَإِنَّ مَنْ تَتَبَّعَ عَثَراتِ أَخيهِ تَتَبَّعَ اللهُ عَثْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللهُ عَثْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ في جَوْفِ بَيْتِهِ».

قوله تعالى: ﴿..وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًا..﴾ الحجرات:١٢.

قال النّبيّ صلى الله عليه وآله: «الغِيبَةُ أَشَدُّ مِنَ الزِّنا». فقيل: يا رسول الله ولمَ ذلك؟ قال صلّى الله عليه وآله: «صاحِبُ الزِّنا يَتوبُ فَيَتوبُ اللهُ عَلَيْهِ، وَصاحِبُ الغِيبَةِ يَتوبُ فَلا يَتوبُ اللهُ عَلَيْهِ حَتّى يَكونَ صاحِبُهُ الّذي يُحِلُّهُ».

وعنه صلّى الله عليه وآله: «الغِيبَةُ أَسْرَعُ في دينِ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ مِنَ الأَكِلَةِ [داء] في جَوْفِهِ».

قوله تعالى: ﴿..إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ..﴾ الحجرات:١٣.

النّبيّ صلى الله عليه وآله: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكونَ أَكْرَمَ النّاسِ فَلْيَتَّقِ اللهَ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكونَ أَتْقى النّاسِ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلى اللهِ».

قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ..﴾ الحجرات:١٤.

الإمام الباقر عليه السلام: «الإِسْلامُ لا يَشْرَكُ الإيمانَ، وَالإيمانُ يَشْرَكُ الإِسْلامَ، وَهُما في القَوْلِ وَالفِعْلِ يَجْتَمِعانِ، كَما صارَتِ الكَعْبَةُ في الْمَسْجِدِ وَالْمَسْجِدُ لَيْسَ في الكَعْبَةِ، وَكَذَلِكَ الإيمانُ يَشْرَكُ الإِسْلامَ، وَالإِسْلامُ لا يَشْرَكُ الإيمانَ..».

قوله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْ..﴾ الحجرات:١٧.

سُئل الإمام الكاظم عليه السلام عن العُجب الّذي يُفسد العمل، فقال: «العُجْبُ دَرَجاتٌ، مِنْها: أَنْ يُزَيَّنَ لِلْعَبْدِ سوءُ عَمَلِهِ فَيَراهُ حَسَناً، فَيُعْجِبُهُ وَيَحْسَبُ أَنَّهُ يُحْسِنُ صُنْعاً، وَمِنْها: أَنْ يُؤْمِنَ العَبْدُ بِرَبِّهِ فَيَمُنَّ عَلى اللهِ عزَّ وَجَلَّ، وَلِلّهِ عَلَيْهِ فيهِ الْمَنُّ».